الفصل الثالث
بين الغرباء والفرقة الناجية والطائفة المنصوررة

الفصل الثالث

بين الغرباء، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة

مَن هُم الغرباء المقصودون في الحديث؟

المقصود من هذا الفصل التكميلي ربط موضوع الغرباء وصفاتهم، بالفرقة الناجية، بالطائفة المنصورة، وبيان إنْ كان ثَمَّة أوجه اختلاف بين هذه المسمَّيات الثلاثة.

فحين نتأمَّل أحاديث الغربة[1]؛ نجد أن أكثر الصفات التي وُصف بها الغرباء إنما وردت من طرق ضعيفة لا تثبت.

إنما ثبت وصف الغرباء بالصلاح إذا فسد الناس[2].

وهذه الاستقامة هي سرُّ غربتهم بين الناس، وإنما كانوا غرباء لقلَّتهم في وسط كثرة منحرفة من أهل السوء؛ ولذلك جاء وصفهم في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بأنهم: "**أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممَّن يطيعهم**"[3].

والمعنى: أنهم أُناس صالحون قليل.

وهذه الصفة مفهومة من وصف (الغرباء) الذين ارتبطت غربتهم بغربة الإسلام.

فالغرباء الأوَّلون هم كما قال البيهقي: "المهاجرون الذين هجروا أوطانهم في الله عز وجل"[4].

وليست غربتهم لأنهم في وطن غير وطنهم، أو بين قوم غير قومهم - فحسب-؛ بل غربتهم الأساسيَّة لقلة المسلمين في ذلك الزمان.

وكذلك الحال بالنسبة للغرباء حين عودة الإسلام غريبًا:

أ- فهم المسلمون بين الكفار، حيث عددهم بالنسبة إليهم قليل.

ب- وكذلك هم الملتزمون بالشرع والسنة بين المسلمين.

جـ- وهم كذلك الداعون إلى ذلك بين سائر المتبعين للسنة.

وهــذان الصــنفان مــن الغربــاء - أعنــي: الملتزمين بالسنة بين المسلمين، والداعين إليها من بين الملتزمين بها - لم يكونـا موجـودين فـي غربة الإسلام الأولى؛ لأن الناس كانوا حينئذ -في الأعم الأغلب- إما مؤمنٌ موحِّد متَّبع مجتهـد فـي دينه، وإما كافرٌ محارب للدِّين معلنٌ للعداوة.

لكن بعد ما وجد الإسلام، وضرب بجرانه في الأرض، واسـتقرَّ أمـرُه؛ بـدأت الفتـن، والأهـواء، والاختلافات، تدب بين المسـلمين، حـتى تفرقـوا شيعًا وأحزابًـا، واختلفـوا اختلافًـا عظيمًـا، فصـار الملـتزمون للنهـج الأول غربـاء بيـن غيرهـم مـن المسلمين، وهؤلاء هم الفرقة الناجية.

وبذلك يظهر ارتباط الغربة بالفرقة الناجية.

وفي ذلك يقول الإمام الآجُرِي: "وقوله صلى الله عليه وسلم: "**وسيعود غريبًا**"؛ معناه -والله أعلم-: أن الأهواء المضلة تكثرُ، فيضل بها كثيرٌ من الناس، ويبقى أهل الحق -الذين هم على شريعة الإسلام- غرباء في الناس، ألم تسمع إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: "**تفترق أمَّتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**". قيل: من هي الناجية؟ قال: "**ما أنا عليه وأصحابي**"[5].

ولما روى الخطيب البغدادي رحمه الله حديث ابن مسعود في الغرباء؛ قال: "قال عبدان[6]: هم أصحاب الحديث الأوائل"[7].

وإذا كان الحديث عامًّا غير مخصص؛ فإننا لا نستطيع أن نقول: إن الفرقة الناجية هم -وحدهم- الغرباء، ولكنهم من الغرباء، خاصة وأن الحديث ربط البدء بالعودة، فقال: "بدأ... وسيعود"، فعُلم أن غربة المسلمين كافة بين أهل الملل والأديان داخلة -أيضًا- في معنى الحديث.

أما الطائفة المنصورة؛ فيبدو ارتباط موضوعها بموضوع الغربة، من وصف عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما للغرباء بأنهم: "الفرَّارون بدينهم، يبعثهم الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة مع عيسى بن مريم"[8].

وإذا كان من المعلوم أن آخر الطائفة المنصورة يقاتلون المسيح الدَّجَّال -أي: مع عيسى عليه السلام[9]-؛ ظهرت مناسبة بعثهم يوم القيامة مع عيسى عليه السلام.

فالطائفـــــة المنصـــــورة غريبـــــة فـــــي الـــد
ُنيا المائجة بالكفر البواح، وغريبة بيــن المســلمين الذين أكلتهم الأهـواء والفتـن؛ بـل وغريبـة داخـل الفرقـــــــة الناجيـــــــة الـــــــتي لـــــــم يتصـــد
َ جميع أفرادها للإصـلاح، ومقاومـة عوامـل الهـدم والفساد في واقع الأمة.

وبهذا يظهر أن ثَمَّة غربـة عامَّـةً للمسـلمين، وغربةً خاصَّةً للفرقة الناجية، وغربـة أخـصَّ منهـا للطائفة المنصورة.

وهـا هنـا يثـور سـؤال: وهـل ثَمَّـة فـرقٌ بيـن الطائفة المنصورة والفرقة الناجية؟

وهل يمكن تصوُّر وجود تغاير بينهما؟

أو يسبق إلى الوهم أن تكون هذه غير تلك؟

هذا ما يجيب عليه العنوان التالي:

هــل بيــن الفرقــة الناجيــة والطائفــة المنصورة تغايُر؟

إن **خصائص الفرقـة الناجيـة** الـتي تقـدم بيانها تتلخص في ثلاثة جوانب هي:

1- العلــم والفقــه الصــحيح، المبنــيُّ علــى الوحي، سواء فـي مجـال العقيـدة، أو الشـريعة، بحيث لا يكون لهم مع النصِّ رأيٌ ولا اختيار.

2و 3- تكيُّــف الشــعور والوجــدان والعمــل والترك مع هذا العلم الصحيح، فـالحب والبغـض، والولاء والبراء، والقرب والبعد، والأخـذ والـترك، والعطــاء والمنــع، والإقــدام والإحجــام، وســائر الأعمال القلبيَّـة أو اللسـانيَّة أو البدنيَّـة؛ لا يخـرج شيء من ذلك كله عما يقتضيه هذا العلم.

ولهذه الخصـائص آثـار عظيمـة فـي حيـاتهم الفرديَّة والجماعية.

منها أنهم يكونون أبعـد النـاس عـن الاختلاف والفرقة، وأقربهم إلى الوحـدة والألفـة، إذ إنهـم يعتمدون على الوحي والنصِّ، ويسلِّمون جميعهم لـذلك، بخلاف غيرهـم مـن أهـل الأهـواء والبـدع ممَّـــن يحكِّمـــون عقـــولهم أو أهـــواءهم فـــي النصوص، ويحرِّفونها عن مواضعها، فيقعون فـي الاختلاف العظيم، إذ العقـول والأهـواء لا تنضـبط ولا تتناهى.

ومنهـا رأفتهـم بالمخـالف، وحرصُـهم علـى هدايته، وتحاشيهم من إطلاق ألفاظ التكفير على مخالفيهم؛ ما لم يَرَوْا كُفرًا بواحًا صُـراحًا عنـدهم مـن اللـه فيـه برهـان؛ بخلاف أهـل البـدع الـذين يكفِّر بعضهم بعضًا لأدنى اختلاف، ويكفرون أهـل الاتِّباع والحق والسنة.

أمـــا **خصـــائص الطائفـــة المنصـــورة؛** فكانت:

1- أنها ملتزمة بالحق، مستقيمة علـى الـدين الصحيح، سائرة على السنة.

2- أنها قائمة بأمر الله، وذلك بنشر السـنة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد.

3- أنها مجـددة للأمـة مـا انـدرس مـن أمـر دينها.

4- أنها ظاهرة إلى قيام الساعة بكل معاني الظهور، فهي ظاهرة غير مستترة، ثابتة على دينها ومنهجها، غالبة بالحجـة والبرهـان، منصـورة علـى العدو -في غالب الأحيان- وإن صـاحب ذلـك لأواء، وإن تخلّلته هزيمة عارضة.

5- أنهـا صـابرة علـى الحـق الـذي الـتزمته واعتصمت به، لا يضرُها مَن كادها، ولا مَن خالفها، ولا مَن ناوأها، حـتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك.

وبتأمُّـل هـذه الخصـائص يبـدو أن الخاصـيَّة الأولـى داخلـة فـي خصـائص الفرقـة الناجيـة، ولـذلك؛ فالطائفـة المنصـورة هـي مـن الفرقـة الناجية بلا شك، وهذا مما لا يحتاج إلى بيان.

أما بقيَّة الخصائص؛ فقد وردت معانيها في أحاديث الطائفة المنصورة مقرونة بوصفها بالمنصورة أو الظاهرة؛ كما تقدَّم، وبين هذه الصفات وبين النصر والظهور علاقة وثيقة، إذ هي صفات متعدِّية، تتعلق بالدعوة، ومقارعة الظالمين، وقتال الكافرين، وحرب المبتدعين.

وهم في معركتهم تلك محتاجون إلى النصر، والظهور، والتأييد.

ولا شكَّ أن للفرقة الناجية من ذلك قدر يحقِّق لها وصف (النجاة)؛ كما قال الله عزَّ وجلَّ: **(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)**[10].

فالنَّجاة من نصيب الآمرين الناهين.

وقد يكون من بينهم مَن لا يطيق شيئًا من ذلك، فيؤثر العزلة والسلامة، فهو حينئذ ناجٍ وليس بمنصور.

ولكن ثمَّة فـرقٌ كـبير بيـن أن يكـون للفـرد أو الفئة قدرٌ من الصفة، وبين أن تكـون هـذه الصـفة هي حـاله، وشـأنه، وأبـرز خصيصـة لـه، وهـو فيهـا فارسُ الميدان.

ولـــذلك؛ فـــإن مـــن الظـــاهر أن الطائفـــة المنصـورة هـي طائفـة مـن الفرقـة الناجيـة، ولا يلزم أن تكون جميعها.

ومما يؤكِّد هذا أن ذكـر الفرقـة الناجيـة جـاء بمناسبة ذكر افتراق الأمـة واختلافهـا فـي دينهـا؛ ولهذا؛ فالغالب -في أوصافهم- ذكر السلامة مـن البدع، والاستقامة على السنن، وتجنُّـب الأهـواء، وإن لم يكونوا بمعزل عن الدعوة، ونشر السـنة، والأمر والنهي.

أما ذكر الطائفة المنصـورة؛ فقـد اقـترن بـه الحـديث عـن القتـال، وقهـر الأعـداء، ومواجهـة المكذِّبين والمخالفين والمناوئين.

واقترن به ذكر القيام لحفظ الدين، وحمايته، بلفظ المبالغة: (قَوَّامة).

واقترن به ذكر اللأواء -وهي الجهـد والمشـقة- التي يجدها المجاهد في طريقه.

واقترن به ذكر الجهـاد، وبقـائه، واسـتمراره إلى قيام الساعة -إلى أن يأتي أمر اللـه-، وحـتى يقاتل آخر هذه الطائفة المسيح الدَّجَّال.

واقترن به ذكر الخيل التي عُقِد في نواصـيها الخير إلى يـوم القيامـة، وهـي رمـزٌ للجهـاد فـي سبيل الله، ولا يعني هذا أن الحـديث ليـس علـى الحقيقة؛ بل إنه يدل بظاهره -مع هـذا- علـى أن الناس سيعودون إلـى الحـرب بالسـلاح القـديم، ويحتـاجون فـي حربهـم إلـى الخيـل، وإلـى مـا شاكلها من الوسائل، وأن الملاحم الكـبرى الـتي تسـبق السـاعة إنمـا تكـون بالسـيوف والخيـول ونحوها؛ كما في حـديث أبـي هريـرة وغيـره فـي ذكر الملاحم[11].

كما اقترن به ذكـر الأقـوام الـذين يُزيـغ اللـه قلوبهم، فيقاتلونهم، ويرزقهم الله منهم.

وهــذا يــبيِّنُ أنَّ ثمَّــة فرقًــا بيــن الطائفــة المنصــورة والفرقــة الناجيــة، وأن الطائفــة المنصورة تأخذ بالجد والعزيمـة، فـي حيـن تأخـذ بقيَّــة الفرقــة الناجيــة بالرخصــة، وأن الطائفــة المنصـورة تقـوم بفـروض كفايـة؛ فـي الـدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عـن المنكـر، والجهـاد في سبيل اللـه، وإقامـة الحجـة علـى العـالمين، وحينئذ لا يكون من اشتغل بغيـر هـذه الفـروض، من التعبُّد، أو طلب الحلال، أو غير ذلك، مقصـِّرًا ملومًــا؛ إلا حيــن يُحتــاج إليــه فــي مــؤازرة تلــك الطائفــة ودعمهــا، ولكنَّــه لا يكــون مــن هــذه الطائفة؛ لأن كلمة (طائفة) تدلُّ بمعناها اللغــوي علـى أن هـذه الفئـة أطـافت بشـيء واحتمعـت حوله، وما هـذا الشـيء إلا القوامـة علـى الحـق، والسهر على حفظة وحمايته، والذب عنــه، إذ إن تعليق أحكامها على وصف معيَّـن لا بـدَّ أن يكـون مرادًا مقصودًا، والرسول لم يصـفهم بالنجـاة فحسـب؛ بـل لـم يـرِد وصـفهم بالنجـاة ألبتــة فــي أحــاديث الطائفــة المنصــورة السابقة، وإنما وُصِفوا بذلك في أحـاديث الفرقـة الناجية.

أما في أحاديث الطائفة المنصورة؛ فوُصفوا بوصف أعلى من ذلك، وهو وصف الظُّهور، والنصر، والغلبة، والثبات، وملازمة الحق، والقتال دونه، وما أشبه ذلك.

فهم (بعض) الفرقة الناجية من المتحمّ
ِسين للدعوة على بصيرة، الباذلين حياتهم وأوقاتهم في سبيل الله، الصابرين على ما يلقونه من الأذى في هذا الطريق.

ومن أعظم البراهين والأدلة على ذلك أن كل مسلم من أول الدنيا إلى قيام الساعة واجبٌ عليه شرعًا أن يكون من (الفرقة الناجية)، محرَّم عليه شرعًا أن يتّبعَ الأهواء المتفرّقة، والشيع الضالة المنحرفة، وهذا أمرٌ لا شك فيه.

وليس كذلك الأمر بالنسبة للطائفة المنصورة، إذ إنها (طائفة) من الأمة تدوم على القيام بفروض الكفاية؛ من الأمر، والنهي، والجهاد، ونشر العلم والسنة، وهذه من فروض الكفايات التي قد يقوم بها (طائفة)، فتسقط عن الباقين.

ويظهر هذا وهذا جليًّا عند تأمل قوله تعالى: **(يَا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاته وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنتُم مُسْلمُونَ ▪ وَاعْتَصمُوا بحَبْل الله جَميعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبكُم فَأَصْبَحْتُم بنعْمَته إخْوَانًا**

وَكُنتُــــمْ عَلَــــى شــَــفَا حُفْــــرَة مــــنَ النّ َــــــار فَأَنقَــــــذَكُم منْهَــــــا كَــــــذَلكَ يُبَيّ ِــــــــنُ اللـــــــــهُ لَكُـــــــمْ آيَـــــــاته لَعَلّ َكُــــــمْ تَهْتَــــــدُونَ ▪ وَلْتَكُـــــن منكُــــــم أُمّ َةٌ يَدْعُونَ إلى الخَيْر وَيَــأْمُرُونَ بــالمَعْرُوف وَيَنْهَــــونَ عَــــن المُنكَــــر وَأُولَئــــكَ هُــــمُ المُفْلحُونَ)[12].

فبعد الأمر بتقوى الله وملازمة طاعته، ذَكَرَ الخصائص التي يلزم كل مسلم التحقُّق بها، ويكون مَن خرج عنها أو أخلَّ بها خارجًا عن مسمَّى الفرقة الناجية، ولو كان باقيًا على الإسلام، وهي الاعتصام بحبل اللـه، والتمسُّك بشـريعته، وملازمـة جماعـة المسلمين، وترك التفرُّق، والاجتماع علـى العقيـدة التي ألَّف الله بها بين قلوب المـؤمنين، فأصـبحوا بنعمته إخوانًا، والتي أنقذهم بها من النار.

وجاءت الأوامـر السـابقة كلهـا خطابًـا للأمـة كافة: **(يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا...)**، والمقصود كـل فرد من هذه الأمـة، فلا بـد لـه مـن الـتزام ذلـك؛ ليكون من المسلمين، ومن الفرقة الناجية.

ثم ثنّى بـذكر بعـض الخصـائص المتعلِّقـة بالطائفـة المنصورة، فتغيّر أسلوب الخطاب من مخاطبة الكافّة بما يجب على كل فـرد منهـم، إلـى مخـاطبتهم بما يجب أن يقـوم بـه (أمـة) أو (طائفة)، فقـال: **(وَلْتَكُنْ منكُم أُمّةٌ يَدْعُونَ...)**.

فـبيَّن أن الـواجب أن يوجـد فـي المسـلمين (أمـة) يتولَّـون مهمـة الـدعوة، والأمـر، والنهـي، ووَعَد هؤلاء بالفلاح، الذي هو حصول المطلـوب، والنجاة من المرهوب، في العاجل والآجل.

وقد جاء عن الضَّحَّاك[13] في تفسير المراد بالأمة في هذه الآية أنه قال: "هم خاصة أصحاب رسول الله، وهم خاصة الرواة"[14].

وقد بوَّب البخاري رحمه الله في "صحيحه": "باب: قول الله تعالى: **(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)**، وما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم"[15].

قال الحافظ ابن حجر في شرح هذه الترجمة: "والوسط: العدل... لأن أهل الجهل ليسوا عُدولاً، وكذلك أهل البدع، فعرف أن المراد بالوصف المذكور: أهل السنة والجماعة، وهم أهل العلم الشرعي، ومَن سواهم، ولو نسب إلى العلم؛ فهي نسبة صورية، لا حقيقية"[16].

وقد ساق البخاري رحمه الله هذه الآية **(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)** في كتاب "خلق أفعال العباد"، ثم قال: "هم الطائفة التي قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"لا تزال طائفة من أمَّتي ظاهرين على الحق، لا يضرُهم مَن خذلهم"**[17].

وكأن هذه الأقوال تومئ إلى أن الصحابة -وهم أفضل هذه الأمة- قد استجمعوا الفضل من أطرافه، فصاروا (مثلاً) لكل خير، أما بعدهم؛ فإن الفضائل تفرَّقت في أصناف شتى من هذه الأمة، وصار خلفاء الصحابة فيهم هم القائمون بحمل العلم الشرعي؛ من رواية الحديث، والسنة، وحفظها على الأمة، وكذلك القائمون بالجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونحوهم؛ ممن يحفظ مصالح المسلمين العامة، ويتعاهدها، ويتصدى لها.

فالأمــة الوســط الشــاهدة علــى النــاس، هــم الجماعـــــــــــة الـــــــــــذين يجـــــــــــب اتِّباعهم، وهم أهل العلم، وهم أهل السنة والجماعة، وهم الطائفة المنصورة، وهم خاصة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثم مـن سـار علـى دربهـم، والتزم ما كانوا عليه: اعتقـادًا، وقـولًا، وفعلًا، وهـم (أمة) من الأمة؛ كما يومئ إليه كلام الأئمة.

فبان بهذا أنه يجب أن يوجد (مـن) المسـلمين جماعة أو طائفة تتولى القيـام علـى قضـايا الأمـة -عامة-، وتقوم فيها بفرض الكفاية، وهذه الطائفـة هـي (الطائفـة المنصـورة)، ونصـرها معنـى مـن معاني (الفلاح) الذي وعدها الله به.

والفرقة الناجية؛ بل المسلمون كافـة، يجـب أن يكونوا عونًا لهـذه الطائفـة فـي أداء مهمتهـا، والقيـام بواجبهـا؛ لأنهـا تتحمـل عنهـم مسـؤولية ضخمة تنوء بحملها الجبال الراسيات.

وبهـذا يتَّضـح الفـرق بيـن (الفرقـة الناجيـة) و(الطائفة المنصـورة)، وأن الطائفـة المنصـورة (جـزء) مـن الفرقـة الناجيـة، ولا يلـزم أن تكـون جميعها.

وقـد يمكـن أن يكـون هـذا الجـزء (الطائفـة المنصورة) ليس أفضـل مـن غيـره مـن (أجـزاء) الفرقة الناجية من كل وجـه؛ بـل هـو أفضـل فـي تحقيق النصرة لهـذا الـدين، والقيـام بـالحق، ولـو كان مفضولاً في جوانب أخـرى، فقـد يكـون فـي الفرقـة الناجيـة مـن آثـر العزلـة للتعبُّـد والتنسُّك، وظـنَّ هذا فرضه، فصار أفضل في هذا الجـانب، ولكنـه مفضولٌ في الجانب الأهم المتعلق بإصلاح الأمة.

وقد كان جمع من الصحابة والتابعين يعــدُّون معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ومـن معـه من أهـل الشـام هـم الطائفة المنصـورة؛ لأنهـم بالشــام، ولأن النصــر تحقَّــق لهــم، فصــاروا منصورين، وصارت الدولة بأيـديهم، وحقـق اللـه بهم للدين فتحًا عظيمًا.

وقد قال معاوية رضي الله عنه: "وإني لأرجو أن تكونوا هم -يا أهل الشام-"[18].

وعَقَّب مالك بن يخـامر علـى روايـة معاويـة للحديث -وهـو يخطـب- بقـوله: "سـمعتُ معـاذًا يقــول: وهــم بالشــام"[19]؛ يعنــي: أهــل تلــك الطائفة.

وهذا يدل على أنه يرى الرأي نفسه.

وهذا ممكن، وإن كان علي رضي اللــه عنــه؛ قال: قال رسول الله □□□ □□□□ □□□□ □□□□ □□□□: **"يكـون فـي أمَّـتي فرقتـان، فيخـرج مـن بينهمــا مارقــةٌ يلــي قتلهــم أولاهــم بالحق"**[20].

ولكـن ليـس ثمَّـة مـا يمنـع أن يكـون النصـر حليـف فئـة مـن الفرقـة الناجيـة؛ لأنهـا أجمـع لخصائص النصـر، وأقـدر علـى حفـظ الدولـة، أو لأي حكمـة أخـرى يعلمهـا اللـه، ولـو كـانت هـذه الفئة مفضولة في الجملة، ويوجد من هـو أقـرب إلى الحق منها من بعض الوجوه.

يقول الشيخ الإمام ابن تيمية فـي الجمـع بيـن نصوص تفضيل أهل الشام وبيـن نصـوص تفضـيل علي رضي الله عنه ومن معـه: " أمـا قـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم: "**لا يـزال أهـل الغـرب ظاهرين**" ونحو ذلك مما يـدلُّ علـى ظهـور أهـل الشام وانتصـارهم؛ فهكـذا وقـع، وهـذا هـو الأمـر؛ فإنهم ما زالوا ظاهرين منتصرين.

وأما قوله صلى الله عليه وسـلم: "**لا تـزال طائفة من أمَّتي قائمة بأمر الله**..."، ومَـن هو ظـاهر؛ فلا يُقْتَضـى ألا يكـون فيهـم مَـن فيـه بغيٌ، ومَن غيرُه أولى بالحق منهم؛ بل فيهم هـذا وهذا.

وأما قـوله: "**تقتلهـم أولـى الطـائفتين بالحق**"؛ فهذا دليل على أن عليًّا ومن معـه كـان أولـى بـالحق إذ ذاك مـن الطائفـة الأخـرى، وإذا كـان الشـخص أو الطائفـة مرجوحًـا فـي بعـض الأحوال؛ لم يمنع أن يكون قائمًـا بـأمر اللـه، وأن يكون ظاهرًا بالقيـام بـأمر اللـه عـن طاعـة اللـه ورسوله، وقد يكون الفعل طاعـة، وغيـره أطـوع منه.

وأما كون بعضهم باغيًا في بعض الأوقات، مع كون بغيـه خطـأ مغفـورًا، أو ذنبًـا مغفـورًا؛ فهـذا -أيضًا- لا يمنع ما شهدت به النصـوص، وذلـك أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن جملـة أهـل الشـام وعظمتهـم، ولا ريـب أن جملتهـم كـانوا أرجح في عموم الأحوال..."[21].

وبهـذا يظهـر أن الطائفـة المنصـورة ليسـت اسمًا مرادفًا -باستمرار- للفرقـة الناجيـة؛ بـل إن مسمى الفرقة الناجية أعـمُّ وأوسـع، والـداخلون فيه أكثر.

والأصل -والله أعلم- أن الطائفـة المنصـورة أولى بالحق من جملة الوجوه، وإنمـا ينصـر اللـه من ينصره.

ولكـن؛ قـد يوجـد فـي النـاس مـن الجهـل، والظلم، والهوى، مـا يجعـل ولاية الأكمـل عليهـم متعـذرة، أو شـبه متعـذرة؛ لبعـد مـا بينهـم وبينـه، فيكون من حفظ الله لدينه، وأمته، وسنة نـبيه: أن يولي عليهم من يكون أقدر على سياستهم، وجمـع كلمتهم، وإن لم يكن هو الأكمل من جميع الوجوه، لكنه هو الملائم لحالهم.

وبهذا التقرير تتَّضـح علاقـة هـذه المسـمَّيات الثلاثة بعضها ببعض: الغربـاء، والفرقـة الناجيـة، والطائفة المنصورة[22].

وهكـذا يتَّضـح أن الخيريـة تنحصـر فـي ثلاث دوائـر بعضـها أضيق من بعض:

■ فالدائرة الواسـعة دائـرة الإسـلام، الـتي تشمل كل من نطق بالشهادتين، وأقـام الصـلاة، ولم يأت مُكفِّرًا يحكم لـه بمـوجبه بـالخروج مـن الملة، مهما ارتكب من المعاصي، ومهمـا تلبَّـس به من البدع.

وأهـل هـذه الـدائرة هـم أهـل الجنـة الـذين يدخلونها، وإن عُذِّبوا بما اقترفوا مـن المعاصـي، أو وقعوا فيه من البدع.

ومن لم يكن من أهلها؛ فالجنَّـة عليـه حـرام؛ لقـوله تعـالى: **(إِنَّهُ مَـن يُشْـرِكْ بـالله فَقَـدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْه الجَنَّةَ)**[23].

وقـوله: **(وَمَن يَبْتَـغ غَيْـرَ الإِسْـلام دينًـا فَلَن يُقْبل منْه)**[24].

وقال صلى الله عليه وسلم -فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى-: "**يا إبراهيم! إنـي حرَّمـت الجنةَ على الكافرين**"[25].

وقال صلى اللـه عليـه وسـلم: "**إن الجنة لا يدخلها إلا نفسٌ مسلمةٌ**"[26].

■ والـدائرة الثانيـة: دائـرة الفرقـة الناجيـة داخل الأمة المسلمة، وهـي تشـمل مـن سـلموا من مقارفة البدع الغليظة التي يخرجون بها عــن السَّمْت والهدي الأول الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وسلموا من الارتكاس في الشـهوات المهلكـة المرديـة الـتي يخرجـون فيها عـن دائـرة العدالـة والاسـتقامة إلـى دائـرة الفسق والانحراف، بحيث يجتمعـون علـى ذلـك، ويوالــون فيــه، ويعــادون فيــه؛ بــل ولاؤهــم للــه ولرسوله وللمؤمنين.

■ والدائرة الثالثة، وهي أضيق الدوائر، هي دائرة الطائفة المنصورة داخـل الفرقـة الناجيـة، والــتي حملــت علــى كاهلهــا عبــء الــذَّود عــن الحيــاض، وحمايــة البيضــة، ورفــع رايــة الحــق، والقتال دونها.

وهــؤلاء هــم خيــر الأمــة، وأفضــلها، وأثقلهــا حملاً، وأعظمها منـزلة، وبهم يندفع عنها العذاب والنقم، وبزوالهم ينتهي الإسلام، وتقوم الساعة؛ كما سبق تفصيله.

وهذا ينسجم مع القسـمة الثلاثيـة فـي قـوله تعالى: **(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكتَابَ الّـذينَ اصـْطَفَيْنَا من عبَادنا فَمنهُـم ظَـالمٌ لنَفسـه ومنْهُـم مُقْتَصدٌ وَمنْهُم سَابقٌ بالخَيْرَات بإذْن اللـه ذَلـك هُـوَ الفَضـْلُ الكـبير▪ جَنَّـاتُ عَـدْن يَـدْخُلُونَهَا يُحَلَّـونَ فيهَـا مـن أَسـَاورَ مـن ذَهَب وَلُؤْلُؤًا وَلبَاسُهُمْ فيهَا حَريرٌ▪ وَقَالُوا الحَمْدُ لله الذي أَذْهَبَ عَنَّا الحَـزَنَ إنَّ رَبَّنَـا لَغَفُورٌ شَكُورٌ. الذي أَحَلَّنَا دَارَ المُقَامَة من فَضْله لا يَمَسُّنا فيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فيها لُغُوبٌ)**[27].

قال ابن عباس: "هم أمة محمد [illegible]، ورَّثهم الله كل كتاب أنزل، فظالمهم مغفور لـه، ومقتصـدهم يحاسَـب حسـابًا يسـيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب"[28].

وجاء نحو ذلـك عـن عائشـة، وابـن مسـعود، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، والبراء بن عازب، وكعب الأحبار، وعبيد بن عميـر، وغيرهـم من علماء الصحابة والتابعين[29].

فالظــالم لنفســه يــدخل فيــه المســرف بالمعاصــي كمــا يــدخل فيــه المبتــدع الــذي لــم تخرجه بدعته عن دائرة الإسلام.

والمقتصــد هــو الملــتزم بالنهــج المجــانب للبدعة والمعصية؛ دون أن يكون له مزيد فضــل؛ بجهاد، أو إصلاح، أو كلمة حق عند سلطان جائر.

والسابق بالخيرات هو المشمِّر للخير؛ دعوة، وبذلاً، واحتسابًا، ومصابرةً، ومرابطةً... وذلك هو الفضل الكبير.

* * *

الخاتمة

وفي نهاية هذا المطاف أرجو أن يكون اتَّضح في ذهن القارئ الكريم عدد من النتائج المهمَّـة، والتي تتلخص فيما يلي:

أولاً: ثبوت حديث الفرقة الناجيـة، ومعرفـة أهم خصائصها، وأي الطوائف الإسلامية تسـتحق أن توصف بذلك؟

ثانيًا: ثبوت حديث الطائفـة المنصـورة؛ بـل وتـواتره، ومعرفـة خصـائص هـذه الطائفـة، ومهماتها.

ثالثًـا: التمييـز بيـن (الفرقـة الناجيـة)، و(الطائفة المنصورة)، وأن بيـن الاسـمين تغـاير من بعض الوجوه.

فالفرقة الناجية هي المجانبة لأهل الزيغ والبدع، الملتزمة بالسمت الأول الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وقد يكون من بين أفرادها عامةٌ لا نصيب لهم يُذْكر في العلم، ومشتغلون بالدنيا في طلب الرزق الحلال لهم ولمن تحت أيديهم، وقد يكون من بين أفرداها قومٌ ظنّوا أنّ العزلة في حقهم أولى، فاعتزلوا المجتمع؛ لا يأمرون، ولا ينهون، ولا يقارعون الباطل باجتهادهم.

أما الطائفة المنصورة؛ فإنما وصفت بـ(المنصورة)؛ لأنها المجاهدة، وهذه من أخص خصائصها: أنها تنازل المنكر، والبدعة، والكفر، والانحراف -بجميع صوره وأشكاله-، وتحاربه، فهي المرابطة على الثغور، القائمة بفروض الكفايات الكبرى عن هذه الأمة.

فهي أقل عددًا، ولكنها أقوى عدةً، وأعظم بلاءً ونفعًا، وأنكى في العدو.

وتقف الفرقة الناجية في دائرتها الواسعة، ثم الأمة المسلمة كلها في إطارها الكبير، ردءًا للطائفة المنصورة، وعونًا لها.

وهذا يـبيِّن أهمِّيـة ظهـور هـذه الطائفـة؛ لئلا يلتبس أمرها على الناس، فربما اسـتطاع العـدو أن يشوِّه صورتها، ويحول بين الأمة وبينهـا، حـتى ترتدَّ رماح الأمة إلى صدورها، وهـذا مـع الأسـف يحدث كثيرًا.

فمن أعظم ميادين جهاد هذه الطائفة: العمـل على الالتحام بهذه الأمة، والتواصـل معها، ورعاية مصالحها العامة -كما سيجيء تفصيلاً إن شاء الله- في الرسالة الثالثـة، وفـي موضـوعي (الجهـاد)، و (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

رابعًـا: أن وصـف (الغربـة) يشـمل ثلاث دوائر:

■ الأولـى: الـدائرة الكـبرى، دائـرة المسلمين، فهم غرباء بين أمـم الأرض الكـافرة، التي لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا تحـرِّم مـا حرَّم الله ورسوله، ولا تدين دين الحق.

■ الثانية: دائرة أضيق منها، دائـرة الفرقـة الناجية، فهي غريبة في وسـط هـذه الأمـة الـتي اجتاحتهـا الأهـواء، ولعبـت بوحـدتها النـزعات والنـزغات، فصارت كما قيل:

وَتَـفَـرَّقُوا شِيَعـًا فَكُـلُّ قَبـيلَةٍ

فيهـــا أَمِـــيْرُ المؤمـنيـــن ومِنْـبَرُ

■ الثالثــة: وهــي أضــيق الــدوائر، غربــة الطائفة المنصورة، وهي فئة قليلة بالقياس إلــى الأمة؛ بل وحتى بالقياس إلى (الفرقة الناجية).

جعلنـا اللـه جميعًـا مـن المسـلمين النـاجين المنصورين بمنِّه وكرمه.

والحمد لله رب العالمين.

وصــلى اللــه وســلم علــى عبــده ورســوله نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هــوامش الفصل الثالث

[1](1) سبق تخريجها في التمهيد.

[2](2) من حديث سعد، وجابر، وسهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهم.

[3](3) سبق تخريجه.

[4](4) "الزهد الكبير" (ص 151).

[5](5) "الغرباء" (ص 24).

[6] (6) هو: عبد الله بن عثمان بن جبلة الأزدي العتكي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي الحافظ، وعبدان لقبه، وكان إمام أهل الحديث ببلده، وهو ثقة مأمون، ولد سنة (140هـ)، وتوفي سنة (221هـ).

انظر: "التهذيب" (5/313).

[7] (7) "شرف أصحاب الحديث": 6- قول النبي صلى الله عليه وسلم: "**بدأ الإسلام غريبًا**..." (ص 24).

[8](8) سبق تخريجه.

[9] (9) كما سبق تفصيله في الفصل المتعلق بالطائفة المنصورة في هذا الكتاب.

[10](10) الأعراف: 165.

[11] (11) سبق تخريج حديث أبي هريرة، وفيه: "**فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علَّقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان**..." الحديث.

- وفي حديث ابن مسعود عند مسلم وغيره - أيضًا - في ذكر الملحمة الكبرى، وفيه بعد ذكر الصريخ: "**فيرفضون ما في أيديهم، ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة**".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ**".

- مسلم: 52- كتاب الفتن وأشراط الساعة، 11- باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، برقم (37)، (4/2223).

- ولا شك أن الأصل في هذه العبارات الحقيقة، وهكذا فهمها المخاطبون؛ لأن هذه معانيها في اللغة التي يعرفونها، والتي نزل بها القرآن، وجاء بها الشرع.

ونقلها عن حقيقتها إلى معنى مجازي هو خلاف الأصل.

[12](12) آل عمران: 102-104.

[13] (13) ابن مزاحم الهلالي، أبو القاسم الخراساني، المفسر، المؤدِّب، أخذ التفسير عن سعيد بن جبير، وثقه أحمد، وابن معين، وأبو زرعة، وضعفه يحيى القطان، وابن عدي، توفي سنة (105هـ).

"الميزان" (2/325)، و"طبقات المفسرين للداودي"(1/222).

[14](14) "تفسير الطبري" (4/38).

[15](15) "صحيح البخاري" (8/156).

[16](16) "فتح الباري" (13/316).

[17](17) "خلق أفعال العباد" (ص 42).

[18](18) سبق مرارًا.

[19](19) سبق مرارًا.

[20] (20) رواه مسلم في: 12- كتاب الزكاة، 47- باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم (151)، وبرقم (149و150و152و153)، (2/745).

- وأبو داود في: 34- كتاب السنة، 13- باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة، برقم (4667)، (5/50).

[21](21) "الفتاوى" (4/447-448)، وانظر ما قبلها وما بعدها.

[22](22) وقد سبق الحديث عن غربة الفرقـة الناجيـة والطائفـة المنصـورة فيما مضى.

[23](23) المائدة: 72.

[24](24) آل عمران: 85.

[25](25) رواه البخاري.

[26](26) رواه مسلم.

[27](27) فاطر: 32-35.

[28](28) رواه ابن جريـر، وابـن المنـذر، وابـن أبـي حـاتم، وابـن مردويـه، والبيهقي.

وانظر: "الدر المنثور" (7/23).

[29](29) انظر تفصيل رواياتهم في "الدرِّ المنثور"، الموضع السابق.